أسباب انتشار طقوس الأديان الشرقية وعقائدها في المجتمعات الإسلامية

د. أمينة أحمد عبد المحسن الماجد (*)

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد

فإنه من المعلوم أن الله عز وجل قد أرسل رسوله لصلاح البشرية، فجاء بإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وجاءت شريعته موازنة بين الروح والجسد، مشتملة على الخصائص العليا والمعاني المثلى فأورث توازنا فكريا ونفسيا في بناء الشخصية المسلمة ومعالجة اختلالها، إلا أنه وكما قال ابن خلدون: "فإن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب"(١).

وهذا ما نراه حاضرا في أمة الإسلام التي تجرعت فيء الحضارات الغربية ولوثتها الفكرية، فأي تقليعات عقدية وموضة فكرية في الغرب فإنه للأسف سترى امتدادها وأثرها في العالم الإسلامي.

ومن أهم الواردات الفكرية التي ابتلي بها المجتمع المسلم: التأثر بالأديان الشرقية وطقوسها التعبدية.

ومكمن خطورة هذه الأديان في أنها غطاء للإلحاد كديانة عالمية، فهي حملة ممنهجة ومدروسة يتم دعمها والاحتفاء بها عالميا والترويج لها بشتى الوسائل الممكنة، فهي أبعد ما تكون عن العشوائية والمصادفة.

(*) أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية الأساسية – بالكويت.

(١) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، ص ١٩٢.

ومن هنا تكمن أهمية هذا الموضوع الذي يأتي لبحث أسباب انتشار طقوس هذه الأديان وممارساتها في المجتمع المسلم، مشتملا على أهم التوصيات والمقترحات لمحاربة هذه الأفكار والعقائد.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين:

* **المقدمة:** وتشتمل على أهمية البحث وخطته.

* **المبحث الأول: المؤثرات الخارجية التي ساهمت في انتشار الأديان الشرقية في المجتمع المسلم.**

المطلب الأول: التوجه العالمي لدعم هذه الأديان (منظمة الأمم المتحدة نموذجًا).

المطلب الثاني: تبني كثير من المؤثرين الغربيين للأديان الشرقية وممارساتها.

* **المبحث الثاني: المؤثرات الداخلية التي ساهمت في انتشار الأديان الشرقية في المجتمع المسلم:**

المطلب الأول: ترجمة كتب التنمية البشرية وطباعتها.

المطلب الثاني: المبادرات المجتمعية التي تسعى لنشر هذا الفكر.

المطلب الثالث: جمود العلماء والدعاة وعدم اجتهادهم بما يناسب المرحلة.

المطلب الرابع: ضعف المؤسسات العلمية.

المطلب الخامس: طغيان الفكر المادي العلماني في التداوي.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

المؤثرات الخارجية

المطلب الأول: التوجه العالمي لدعم الأديان الشرقية والترويج لها:

إن الدعم العالمي لتطبيقات الأديان الشرقية من أهم العوامل التي ساهمت في انتشارها عالميًّا، ويتمثل الدعم من خلال أهم المنظمات العالمية، وأبرزها منظمة الأمم المتحدة، فقد ساهمت هذه المنظمة في دعم هذه التطبيقات من خلال إصدار قرارات أممية في هذا المجال.

ففي ديسمبر ٢٠١٤م اعتمدت الأمم المتحدة قرار الجمعية العامة رقم (١٣١/٦٩) الذي اعتبرت فيه يوم: (٢١ يونيو) يوما دوليًّا سنويًّا لليوغا، حيث رأت المنظمة (أن اليوغا توفر نهجًا شاملا إزاء الصحة والعافية، ولذا لابد من نشر المعلومات على نطاق أوسع بشأن فوائد ممارسة اليوغا، والذي من شأنه أن يعود بالفائدة على صحة سكان العالم)[١].

وتضمن هذا القرار مجموعة من البنود، أهمها:[٢]

دعوة جميع الأعضاء والدول ذات مركز المراقب ومؤسسات منظومة الأمم المتحدة وسائر المنظمات الدولية والإقليمية والمجتمع المدني، بما في ذلك المنظمات غير الحكومية والأفراد، إلى الاحتفال باليوم الدولي لليوغا على النحو الملائم ووفقًا للأولويات الوطنية، من أجل التوعية بفوائد ممارسة اليوغا.

التأكيد على أن تكلفة جميع الأنشطة التي قد تنشأ عن تنفيذ هذا ينبغي أن تغطى من التبرعات.

---

(١) (International Day of Yoga: ٩ January ٢٠١٥ resoulution / adopted by the General Assembly UN / New York, digitalibrary.un.org)

(٢) انظر المرجع السابق: ص١-٢.

الطلب من الأمين العام عرض هذا القرار على جميع الدول الأعضاء والدول ذات مركز المراقب ومؤسسات منظومة الأمم المتحدة.

وربما يكفي عرض هذا القرار لبيان مدى الزخم والدعم العالمي لهذه الممارسات إلا أن الجهود لم تتوقف عند إصدار هذا القرار، فمع انتشار (كوفيد ١٩) أوصت الأمم المتحدة بالممارسات القديمة ورأت أنها من أهم الوسائل التي تعالج الاكتئاب والقلق الناتج عن الجائحة،(١) وفي يونيو ٢٠٢٠م ذُكر في الموقع الرسمي للمنظمة ما نصه: (تحتفل الأمم المتحدة باليوم الدولي السادس لليوغا في ٢١ حزيران/يونيو، معترفة بالممارسة القديمة كنهج شامل للصحة والرفاهية وأداة قوية للتعامل مع الضغوط الكبيرة الناجمة عن جائحة كوفيد ١٩)(٢).

وعرَّفت المنظمة اليوغا بأنها ممارسة بدنية وعقلية وروحية قديمة نشأت في الهند وتمارس الآن في أشكال مختلفة حول العالم، وذكرت أن كلمة (يوغا) مشتقة من اللغة السنسكريتية، وتعني: الانضمام أو التوحد، وترمز إلى اتحاد الجسد والوعي(٣).

ومن خلال التعريف يتبين أن المنظمة لا تغفل عن البُعد العقائدي والديني لهذه الممارسة ولا تعارضه، بل إن حجم الدعم المادي و الإعلامي لهذه الممارسات يؤكد تبني المنظمة لهذه الأديان الإلحادية وتقديمها بديلاً للأديان السماوية ،ومما يدل على ذلك استضافة المنظمة ل (سادغورو) وهو صاحب (مؤسسة ايش

---

(١) ٢١ حزيران/يونيو ٢٠٢٠م، في اليوم الدولي لليوغا، الأمم المتحدة تسلط الضوء على قوة الممارسة القديمة للمساعدة في تخفيف ضغوط (كوفيد ١٩) الأمم المتحدة، news.un.org .

(٢) انظر :المرجع السابق.

(٣) انظر :المرجع السابق.

لتعليم اليوغا) لإقامة طقوس اليوغا بمبنى منظمة الأمم المتحدة[١]، وهو الذي أعلن مرارا أن الثقافة التي يروج لها ثقافة إلحادية حيث يقول: (عليك أن تفهم أن هذه ثقافة إلحادية)[٢]،و نصّ على أن أساس تقنية اليوغا هو (التحول من مجرد مخلوق إلى الخالق نفسه)[٣]، ولهذا يقول: (أنا دائمًا أصنف اليوغا بأنها السلم إلى الألوهية)[٤] مُقرِّرًا بذلك عقيدة وحدة الوجود الكفرية، ولديه عداء مع الأديان السماوية وبخاصة الإسلام، حيث يقول: (يتضمن عملي الأساسي تدمير كل الجنات كي يتعلم الناس العيش بشكل جيد)[٥].

ومع استضافة المنظمة لهؤلاء والسماح لهم بترويج عقائدهم، بل إدراجها بشكل بارز في خطة العمل العالمية لمنظمة الصحة العالمية؛ لتحقيق أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م[٦]، يتبين مدى التوجه العالمي لدعم هذه الأديان الإلحادية والترويج لها.

المطلب الثاني: تبني كثير من المؤثرين الغربيين لهذه الأديان الشرقية:

لقد ساهم اعتناق بعض المشاهير للديانات الشرقية كالبوذية والهندوسية بالترويج لها عالميًّا وتسليط الضوء على بعض ممارساتها، حتى أضحت هذه

(١) انظر :المرجع السابق.
(٢) الدكتور هيثم طلعت Dr.haitham Talaat، ١٨ نوفمبر ٢٠٢٢، سادغورو داعية الإلحاد الروحي، كشف فضائح أيقونة العلوم الزائفة، (Debunking the nonsense of Sadhguru)، ملف فيديو تم الاسترجاع من اليوتيوب (http://youtu.be/ugINIJgopuM).
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.
(٦) انظر: ٢١ /حزيران/يونيو ٢٠٢٠م، في اليوم الدولي لليوغا الأمم المتحدة تسلط الضوء على قوة الممارسة القديمة للمساعدة في تخفيف ضغوط كوفيد ١٩، الأمم المتحدة، news.un.org.

الممارسات كاليوغا وقانون الامتنان، والتأمل وغيرها موضة فكرية عالمية وتقليعات عقدية امتد أثرها إلى العالم الإسلامي.

فعلى الصعيد الفني فإن أشهر من روّج لهذه المعتقدات النجم الأمريكي (ريتشارد جينر) حيث تحول من أتباع الطائفة (الميثوديسية) المسيحية إلى البوذية[١]، ومنهم أيضا (أورلاند بلوم) فيعد من أشهر الفنانين الذين اعتنقوا البوذية[٢]، ومنهم (شارون ستون) حيث أعلنت مؤخرا تعاطفها مع قضايا البوذيين في العالم، ومنهم ممثل الأفلام القتالية (جيت لي) وهو من أشهر المعتنقين للديانة البوذية والمروجين لها، حيث قال: إنه وصل إلى قناعة بأنه ليس كافيًا للمرء أن يتمتع بجسد قوي لابد من أن يحظى بروح قوية، وهو الأمر الذي جعله يواظب على ممارسة طقوس البوذية بانتظام[٣].

وأما على الصعيد الاقتصادي والعلمي فمن أشهر المعتنقين للبوذية (ستيف جوبز) رئيس مجلس إدارة شركة أبل[٤].

وأما مَن تأثر بممارسات الأديان الشرقية وروّج لها دون اعتناق هذه الأديان، المذيعة التلفزيونية الشهيرة (أوبرا دينفري) حيث روجت لكثير من الممارسات كقانون الجذب، والامتنان، والتأمل التجاوزي[٥].

ومن أوجه الدعم استضافة المروجين لهذه الأفكار في مختلف البرامج التلفزيونية العالمية،فنجد أن برنامج (لاري كينج) وهو أحد أشهر البرامج التلفزيونية

---

(١) ٣١-ديسمبر-٢٠١٤، مشاهير اعتنقوا (البوذية)، http://vetogate.com/٤٠٦٦٧٢ .
(٢) انظر المصدر السابق.
(٣) انظر المصدر السابق.
(٤) انظر المصدر السابق.
(٥) انظر: ما أعرفه على وجه اليقين، أوبرا وينفري، مكتبة جرير، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص١٥٣،١٥٠،٧٥.

في أمريكا، ووصل صداه وانتشاره إلى معظم الدول العربية، يستضيف (روندا بايرن)[١] مؤلفة كتاب السر (The Secret) الذي روجت من خلاله لكثير من الأفكار الإلحادية الباطنية.

ولعل هذا الرواج بين مشاهير الغرب ومؤثريهم يطرح سؤالًا مهمًّا في هذا الباب وهو: ما سبب انتشار هذه الأديان الشرقية وطقوسها في الغرب، حتى أصبحت (البوذية) مثلا الدين الأسرع نموًّا في بلد مثل أستراليا[٢]، (رغم أنها لاتزال الديانة الثالثة من حيث عدد معتنقيها بعد المسيحية والإسلام) وأصبح الاحتفال بعيد ميلاد بوذا في أستراليا حدثًا ثقافيًّا معتادا وأصبحت العقيدة البوذية جزءًا من الثقافة السائدة هناك[٣]؟

وأما في أمريكا فأصبح كتاب (لماذا البوذية صحيحة) (why Buddhism is true) للصحفي روبرت رايت من أكثر الكتب مبيعًا في العام ٢٠١٧م[٤].

---

(١) هي كاتبة ومنتجة أفلام تلفزيونية، ولدت سنة ١٩٥٥م، وقد عُرفت من خلال عملها الأشهر (the secret)، الذي أوصلها لتكون ضمن قائمة (المائة شخص الأكثر تأثيرا في العالم) بحسب تقرير مجلة التايمز للعام ٢٠٠٧م، ويتسق هذا الكتاب مع مبادئ (حركة الفكر الجديد) (new thought movement) التي يؤمن أصحابها – من مؤلفين وفلاسفة ومدربين روحانيين وغيرهم بمجموعة من المبادئ (الميتافيزيقية)، والمختصة بطرائق العلاج وتطوير الذات، وتأثير الفكرة في الماديات وكتاب (السر) يدور حول هذه المفاهيم ويروج لها، ومن ضمن ما يروج له: أن الله في كل مكان، وأن روحه تسري في كل إنسان –تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرا– [انظر: خرافة السر، عبد الله صالح العجيري، ص٣٠].

(٢) ٢٠٢٢/٠٥/٢٥،التاريخ مقابل الأسطورة..كيف عرف الغرب البوذية ، http://www.aljazeera.net/cultureandart/٢٠٢٢/٥/٢٥

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر: (٢٠١٩/٠٤/١٦، لماذا يتجه كثير من الأمريكيين لاعتناق البوذية، الجزيرة، http://www.aljazeera.net/midan/reality/community/٢٠١٩/٤/١٦=

وقد انتشرت مؤخرا مراكز التأمل البوذي في أماكن مثل نوكسفيل (بولاية تينيسي) وليكورد بول (بولاية أوهايو)[١]، وهناك عشرات المدونات الصوتية البوذية (بودكاست) وتنتشر بين كثير من التطبيقات وقوائم التشغيل المهيئة خصيصًا للتأمل الشخصي غير البوذي، وتصل نسبة الأمريكيين الذين يقولون إنهم يقومون بالتأمل مرة أسبوعيًّا على الأقل إلى ٤٠%[٢].

تجيب الكاتبة (أولغا كازان) (olga khazan) في مقالها بمجلة (ذي أتلانتيك) (the atlantic) عن سبب تحول أعداد متزايدة من الأمريكيين إلى ممارسة الطقوس البوذية بأنهم يبحثون عن السلام النفسي، والسعي للتحرر من الضغوط[٣].

ثم أوضحت الكاتبة أن كثيرًا منهم لا يعتنقون البوذية بوصفها ديانة، لكنهم يتبنون نوعًا من البوذية العلمانية -كما أسمتها- أي أنهم يدمجون بعض الطقوس والفلسفات البوذية بهدف تحسين حياتهم، تقول: (أكثر ما يجذب الأمريكيين لهذا الدين هو الحفاظ على الصحة العقلية، إذ يجد بعضهم في الديانة القديمة عونًا على ترويض صعوبات الحياة العصرية وضغوطها[٤].

وعند استقراء المقال الطويل والمقابلات التي أجرتها الكاتبة مع عديد من ممارسي البوذية نجد أن أكثر ما لفت الغرب لهذه الديانات ثلاثة أمور:

=وأصل المقال مترجم من مجلة (The Atlantic):

Why so many American Are Turning to Buddhism,TheAtlantic,By Olgakhazan,March,٧,٢٠١٩

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر المصدر السابق.

الأول: إقرار البوذية بحتمية المعاناة في الحياة، ولذا بدلًا من التركيز على تجنبها ينبغي تعلم كيفية التعامل معها.

الثاني: إلغاء العبثية في الألم، والإقرار بأن للآلام غاية وحكمة ينبغي التفطن لها.

الثالث: أن الانسياق وراء الشهوات هو أصل المعاناة، وبالتالي فإن البوذية تدعو للرهبنة والتحرر من الماديات ونبذ التعلق.

وهنا يتبين أن الغرب وجد في هذه الأديان طرحًا فلسفيًّا وفكريًّا يوضح ماهية البلاء والحكمة من وجوده ثم يقدم حلولا عملية لكيفية التعامل معه، واللافت للنظر أن في هذا الطرح هدمًا لمذهب له امتداداته الفكرية والفلسفية، وله أثره في شتى مجالات الحياة الغربية، الاجتماعية والاقتصادية وحتى الطبية، وهو مذهب (اللذة hedonism) الذي يقوم على أن اللذة هي الغاية الوحيدة من الحياة، وليس مع هذه الغاية أو وراءها غاية أخرى، وعليه لا يمكن تفسير ما يضاد اللذة والمتعة من الآلام والابتلاءات إلا من منظور العبثية الخالية من الحكمة والمصلحة، -وسيأتي تفصيل المسألة في مظانها في البحث-.

إلا أن السؤال يطرح نفسه مرة أخرى لمَ الأديان الشرقية تحديدًا؟ ولمَ كل هذا الاحتفاء والترويج لها في الغرب دون غيرها من الأديان -السماوية مثلًا-؟

إن السبب الأهم هو ظهور هذه الأديان بصورة فلسفية علمانية، قائمة على الإلحاد في المقام الأول، فهي من هذا المنظور تخدم اجندة النظام الغربي الرأسمالي الملحد ، مع قدرتها في الوقت نفسه على علاج ما تعانيه الأمم الغربية من أمراض العصر الناتجة عن طغيان الفكر المادي.

**

المبحث الثاني

المؤثرات الداخلية

التي ساهمت في انتشار الأديان الشرقية في المجتمع المسلم

لقد وجدت هذه العلوم الباطنية طريقها إلى المجتمعات الإسلامية عبر منفذ مهم وهو: ترجمة هذه الكتب وطباعتها.

ثم المساهمة بتسويقها عبر وضعها ضمن قائمة أكثر الكتب مبيعًا، وهذا يؤكد أن لبعض دور النشر دورًا مشبوهًا في تبني المذاهب الإلحادية ونشرها بين المجتمعات الإسلامية.

فنجد مثلًا أن أول كتاب روج لهذه العلوم الباطنة هو كتاب (السر) وتم الترويج له بصورة مبالغة ومشبوهة، وهذا الكتاب بنسخته الأصلية يحمل عبارات كفرية صريحة، إذ قالت مؤلفته (روندا بايرن): (you are god in physical body)[1]، والمعنى: (إنك الله في جسد مادي).

إلا أنه تُرجم في النسخة العربية: (أنت قبس من روح الله)[2].

ومنها قولها: (we often get distracted with this thing called our body and physical being. That just holds your spirit. And your spirit is so big it fills aroom You are eternal Life. You are God manifested in human form, made to perfection)[3].

(١) the secret ١٦٤

(٢) السر : ص١٦٤.

(٣) the secret ١٦٤

والمعنى: (غالباً ما نصاب بالتشويش بهذا الشيء الذي يُدعى جسدنا أو كياننا المادي، ذلك الجسد يحمل روحك فقط، وروحك كبيرة لدرجة أنها تملأ غرفة، إنك حياة أبدية، إنك الله متجليًّا في هيئة بشرية وُجدت للكمال)(١).

وجاءت الترجمة في النسخة العربية على هذا النحو: (غالباً ما نصاب بالتشويش بالشيء الذي يُدعى جسدنا أو كياننا المادي، ذلك الجسد يُقيّد روحك، وروحك كبيرة لدرجة أن تملأ غرفة، إنك تتحلى بروح لا تموت، أنت قبس من روح الله التي بثها في آدم أبي البشر، وخلقك في أحسن تقويم)(٢).

وبالنظر إلى هذه العبارات الموجودة في النسخة الأصلية نجد أنها تصرح بعقيدة وحدة الوجود الكفرية، وأن الإنسان هو الخالق والمتسبب وحده فيما يأتيه من خير وشر، (إلا أن النسخة المترجمة قامت بتزييف هذه المعاني وتغطية مواضع الخلل العقدي الصريح في "السر"، من خلال تحريف عبارات الكتاب الأصلية كي توافق المزاج الشرقي المسلم، حتى لا يكشف مصادمة الفكرة لأصل معتقده، وليكون تمرير هذه الأفكار المنحرفة أسهل وأسلس، وبممانعة أقل وأضعف)(٣).

وتتكرر محاولة أسلمة تلك العلوم القائمة على الإلحاد في ترجمة كثير من هذه الكتب، فنجد مثلاً أن كتب الملحد "ديباك شوبرا" والذي أعلن صراحة أنه هو الإله، إذ يقول: (أنا كنت ملحدًا حتى أدركت أنني الإله)(٤)، تجد أن المتصدر

---

(١) انظر: خرافة السر، د.عبد الله صالح العجيري، مكتبة الملك فهد الوطنية ، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ،١٤٣٠هـ، ص٩٦.

(٢) السر ص١٦٤.

(٣) انظر: خرافة السر، عبد الله صالح العجيري، ص٨٧.

(٤) قال ذلك في أحد المقابلات التلفزيونية، انظر الرابط: https://youtu.be/_-٧sejnYUBY

لترجمة كثير من كتبه هو د.محمد ياسر حسكي[١]، وعند استقراء حساباته في مواقع التواصل الاجتماعي نجد المحاولة الحثيثة لإضفاء الصبغة الإسلامية على تلك العلوم، وإن كان يطغى عليها النَّفَس الصوفي باستشهادات من كلام أبي الحسن الشاذلي وجلال الدين الرومي والحبيب على الجفري.

ويقيم أيضًا دورات في الوعي والكارما والريكي، ولا أعلم كيف يمكن أسلمة تلك العلوم الكفرية، ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأنها وسيلة تسويقية لترويج تلك الأفكار في الأوساط الإسلامية وضمان قبولها.

وهذه الطريقة في الترجمة تندرج تحت مسمى الخيانة العلمية، وإذا خففنا العبارة وأحسنا الظن، فسنقول : هي طريقة تدل على خلل في فهم حقيقة الترجمة ودورها، وما يجوز منها وما لا يجوز، فالنسخ العربية التي بين أيدينا لا تعدو أن تكون تحريفاً لأكثر أفكار هذه الكتب تطرّفاً وغلوًّا وخطورة، مع أنَّ جملةً من هذه الآراء المتطرفة تعد القاعدة العقدية والفلسفية التي تأسست عليها هذه العلوم، لكن الترجمة عبثت بهذه المواضع، فصورت تلك الكتب على خلاف ما هي عليه وصارت النسخ العربية ذات نزعة (إسلامية)، وغابت مع العبث حقيقة هذه العلوم التي تدعو إليها تلك الكتب، وضاعت معها الأصول الفكرية والفلسفية والعقائدية التي تأسست عليها[٢].

---

(١) محمد ياسر حسكي، مهندس من سوريا، قام بترجمة عديد من كتب علوم الطاقة وبخاصة كتب ديباك شوبرا مثل : (الذات الشافية) وكتاب (الدماغ الخارق)، (روح القيادة، وإطلاق طاقاتك نحو العظمة)، (الموروثات الخارقة)، (أنت الكون) ، (ميتيا إنسان، إطلاق العنان لإمكانياتك اللانهائية)، أسس مدرسة لتعليم علوم الطاقة وهي: مدرسة الريكي طاقة النور، وله كثير من الدورات في هذا المجال منها : دورة وعي واين داير، ودورة تنفس لماسترات الريكي، ودورة الريكي، ودورة الكارما. [انظر حساباته في وسائل التواصل الاجتماعي في facebook : مدرسة الريكي طاقة النور - د. محمد ياسر حسكي، في الانستغرام drhaskirekilight.

(٢) انظر في هذه مسألة: خرافة السر، عبد الله العجيري، ص٨٧-٨٨، بتصرف.

وهنا لابد من التأكيد على مسألة مهمة وهو أن إزالة تلك العبارات الكفرية من النسخ المترجمة لا يُعد مبررًا لاقتناء تلك الكتب، فضلًا عن ادعاء خلوها مما يناقض الإسلام، إذ النظر يكون لأصل المعتقد وأصل الفكرة التي قامت عليها تلك العلوم، ويعلق (عبدالله صالح العجيري) صاحب كتاب (خرافة السر) على هذه المسألة بكلام مهم إذ يقول : (فإن قيل: واقع الترجمة إذن خير من الأصل، وتخفيف الشر أصل شرعي، فيقال : هذا التحريف المسمى بالترجمة تسبب في تسويق فكرة الكتاب) والدعاية لقانون باطل، والدعوة لمنهج (غير إسلامي) في قالب (إسلامي)، وهو شرٌّ ما كان ينبغي أن يقع، وأيّ كتاب يبلغ به السوء هذا الحد، بادعاء الخالقية ووحدة الوجود، وتقرير الانحرافات العلمية والعقائدية المختلفة جدير بأن لا يُترجم أصلًا، إن الاعتزاز الحقيقي لمنهج الإسلام يستلزم من أهله أن يحسنوا الاختيار والترجمة، لا أن يهجم البعض على أي كتاب طلبًا لربح عاجل و دنيا زائلة!!)[(١)].

والمتأمل لحركة الترجمة يجد أننا إزاء منهجين في هذا الباب:

الأول: من حاول العبث بالأصول الفكرية والعقدية أثناء ترجمة هذه الكتب، ومحاولة أسلمتها بغرض التسويق والترويج لها.

الثاني: من ترجم هذه الكتب مصرحًا بأنها علوم لا دينية، فنجد (أيمن أبو ترابي)[(٢)]، وهو من ترجم عديدًا من كتب أوشو، يصرح في حسابه على الـ (facebook) بأنه (لا ديني) إذ يقول: (إيماني في قلبي وعلى طريقتي أنا لا

(١) خرافة السر، عبد الله العجيري، ص٨٨.

(٢) أيمن أبو ترابي: يرجع إلى جبل الدروز في سوريا، ويعمل في مجال الترجمة، تخصص في ترجمة كتب ديباك شوبرا وأوشو، ومن أشهر كتبه المترجمة: كتاب الأسرار لديباك شوبرا، والشجاعة (لأوشو)، أوشو المتمرد أداة الوعي الثالث (بيتر ديميانوفيتش)، حتى تموت (آوشو) من الجنس إلى أعلى مراحل الوعي أوشو، رؤية التانترا (أوشو)، وغيرها.

ديني)،ثم قال :(لقد آن أوان المسلمين والعرب خصوصًا أن يتوقفوا عن هذا التهريج والالتفات لما هو خير حقيقي لأمة الإسلام: العلم ثم العلم تم العلوم، نبينا محمد قال: اطلبوا العلم ولو في الصين ، ولم يقل: اطلبوا الدين، الدين والإيمان فطرة لا يمكن تلقينهما لأحد، يولدان مع الإنسان، لا يمكن الوعظ بهما كما يفعل الوعاظ التجار المنافين)(١).

ومن دور النشر التي ركزت نشاطها في الترويج لعلوم الطاقة: دار (الخيال) الصادرة من لبنان ، فجُلّ إصداراتها في هذا الباب.

وتليها (دار الفرقد) والتي تتنوع إصداراتها في العديد من المجالات كالفكر والسياسة والتاريخ والفلسفة والثقافة، إلا أن لها إحدى وستين إصدارًا في باب تطوير الذات والروحانيات، كثير منها في باب علوم الطاقة، وقد ذكرت الدار في موقعها الرسمي على الشبكة العنكبوتية أن رؤيتها تتبني على: (التأكيد على أهمية تعميم الفكر التنويري على امتداد الوطن العربي)(٢).

ولا يمكن إغفال دور الموزعين في نشر هذه الكتب وتوزيعها على مختلف المكتبات الموجودة في العالم الإسلامي، ولعل المدهش والمستغرب أن يصل انتشار هذه الكتب، لدرجة بيعها في مكتبات القرطاسية الموجودة في مراكز التسوق المركزية التابعة للمناطق السكنية، وهذا يدل على السعي الحثيث لترويج هذا الأفكار ونشرها بين أوساط الشباب المسلم.

---

(١) هكذا كتبت، وأظنها (المنافقين)،انظر:
(AymanAbutrabi,١٦january٢٠٢٠,m.facebook.com)

(٢) انظر: daralfarqad.com

المطلب الثاني:المبادرات المجتمعية التي تسعى لنشر هذا الفكر في المجتمع.

من أهم المبادرات المجتمعية التي يمكن تسليط الضوء عليها مبادرة (بريق)، وهي مبادرة منبثقة من شركة (النوير)(١)، تستهدف المدارس الثانوية الحكومية في شتى المناطق السكنية في دولة الكويت، وتعمل تحت غطاء وزارة التربية،وكان لهذه المبادرة انتشاراً واسعاً، إلا أنها كانت محل خلاف حول مرجعيتها وأهدافها، ودار حولها الكثير من اللغط والمعارضة، وشاب أنشطتَها كثير من الريب، لاحتوائها على عدد من المخالفات العقدية المتعلقة بعلم الطاقة، على سبيل المثال: نشر ما يتعلق بالوعي(٢)، وعقيدة الامتنان، وإطلاق النوايا(٣)، وهذه كلها ممارسات لها علاقة بالأديان الوثنية الشرقية.

---

(١) هي شركة لها بعض المبادرات المجتمعية البسيطة مثل: (كرنفال النوير -٣٠ مقعد أصفر- مليون ابتسامة - يوم التنظيف العالمي)، رئيسها التنفيذى: الشيخة انتصار سالم العلي الصباح، ولها شراكة حديثة مع معهد المهاتما غاندي للتعليم من أجل السلام والتنمية المستدامة التابع لليونسكو، (وهو معهد تم تأسيسه بواسطة اليونسكو بالتعاون مع حكومة الهند)،تروج الشركة لكثير من تطبيقات الأديان الشرقية وتستهدف طلبة المدارس الثانوية من الذكور والإناث. [انظر: الموقع الرسمي لشركة النوير على الشبكة العنكبوتية www.alnowair.com].

(٢) المقصود بالوعي: معتقد الوعي بالمعنى الفلسفي الباطني أن الإنسان به شرارة إلهية - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا- وأنه جزء من الإله، وعندما يقوم الإنسان بممارسة تمارين الطاقة الكونية كالتأمل، فإنه يترقى ويدرك حقيقته الإلهية، تقول آلس بيلي -أحد رموز حركة العصر الجديد-: (إن تطور الإنسان ليس سوى مرور من حالة وعي إلى أخرى، وهي توسعات متعاقبة ونمو للملكة الإدراكية التي تشكل الصفة المهيمنة على المفكر الذي بداخلك، إنه التقدم من الوعي المتمركز في الشخصية والذات الدنيا أو الجسد، إلى الوعي المتمركز في الذات العليا أو النفس أو الروح، ومن ثَم الوعى المتمركز في المطلق أو الروح الكوني حتى يصبح الوعي إلهيًّا في النهاية). [انظر: حركة العصر الجديد - د. هيفاء بنت ناصر الرشيد - ص٩٣].

(٣) إطلاق النوايا: هي أحد تطبيقات فلسفة الطاقة الكونية، ويعتقد أصحابه بأن نية الإنسان طاقة تنطلق في الكون، وتحقق له ما ينوي، وهو يستند للمعتقد الهندوسي الوثني في =

ونتيجة لمعارضة الكثير من أولياء الأمور والباحثين الشرعيين لأنشطة المبادرة، قامت وزارة التربية بتشكيل لجنة علمية لدراسة هذه المبادرة وتقييمها[1].

وخلصت اللجنة بإجماع آراء أعضائها إلى: (عدم ملاءمة برنامج (بريق) للفئة العمرية الموجه اليها ، وعدم جدواه في تحقيق سلوك إيجابي عند الطلبة)[2]، ولذا أوصت اللجنة بالاعتذار عن الاستمرار في العمل به في المدارس الثانوية[3]، وبنت اللجنة قرارها على عدة اعتبارات شرعية وتربوية واجتماعية، ويمكن تفصيلها في النقاط التالية:

أولاً: من الناحية الشرعية:- ذكرت اللجنة أن البرنامج يرتكز على فلسفة لا دينية، لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية، فهو يبنى على قوانين، كقانون الجذب، وقانون الإمتنان، وقانون الطاقة، وهي فلسفات لا دينية، تتعارض مع روح الشريعة الإسلامية.

=وحدة الوجود وأن في الإنسان جزءًا من الألوهية، ونيته عبارة عن طاقة مؤثرة في الكون الذي تنتشر فيه، فإذا أُطلقت نيته توحدت ألوهية الإنسان مع ألوهية الكون، وتحقق للإنسان ما يريد.

(١) انظر: (تقرير لجنة دراسة تقييم مشروع بريق للتفكير الإيجابي والرفاهية النفسية المتكاملة، بناء على القرار الوزاري رقم (٢٠١٩/١٥٦) برئاسة وكيل الوزارة المساعد للتعليم العام: أ.أسامة السلطان، وعضوية د.محمد فارس المطيران عضو هيئة التدريس في جامعة الكويت نائبًا لرئيس اللجنة، وعضوية كل من: د.محمد إسماعيل الراشد (الموجه العام للتربية الإسلامية)، أ.إيمان السويحل (الموجه العام للعلوم الاجتماعية)، د.وليد السلامين (الموجه العام. للتربية البدنية (بنين)، أ.ناهد الفهد (الموجه العام للتربية البدنية (بنات)، أ.فيصل الأستاذ (مدير إدارة الخدمات الاجتماعية والأنشطة) .

(٢) انظر: تقرير اللجنة السابق ص:٢.

(٣) انظر: تقرير اللجنة السابق ص:٢.

وكمثال على ذلك فإن مفهوم (السعادة) الذي يسعى البرنامج لنشره من خلال كتيباته ودوراته التي يقيمها للمعلمين والطلبة، فإنه يجعل السعادة متمحورة حول ذات الإنسان وجنسه، ولا يظهر لها أيٌّ ارتباط بربه الذي هو مبدأ وجوده، وإليه منتهاه(١).

وذكرت اللجنة أن تطبيقات البرنامج لا تراعي القيم الشرعية في أداء العبادات في أوقاتها، ولا طبيعة العلاقات الاجتماعية والإنسانية(٢).

ثانياً: من الناحية التربوية والاجتماعية:

فإن الكتيبات التي يعتمد عليها برنامج (بريق) في المدارس هي كتيبات مترجمة من مصادر أجنبية حرفية، حيث لوحظ مفردات وجمل غير متناسقة لغوياً ومبهمة(٣).

ثالثاً: من الناحية العلمية:

لم تلحظ اللجنة عند زيارة المدارس التي يطبق فيها مشروع (بريق) أي تأثير إيجابي للمشروع على الطلبة، بل رأت عدم وضوح أهدافه لدى المعلمين والطلاب، حيث إن بعضهم يظنون أن المشروع مفروض عليهم من قبل الوزارة ومتبنى ضمن مناهجها، فهم منخرطون في المشروع كواجب مفروض عليهم من دون قناعة بأهدافه.

كما أن لدى كثير من المعلمين عدم فهم للمشروع حتى بعد أخذهم للدورات الموضحة لهم، وقد كان جوابهم صريحًا في عدم فائدة المشروع للارتقاء بمستوى الطلبة العلمي والسلوكي.

---

(١) انظر: تقرير اللجنة السابق ص:٣.

(٢) انظر: تقرير اللجنة السابق ص:٣.

(٣) انظر: تقرير اللجنة السابق ص:٣.

وخلصت اللجنة إلى أن برنامج (بريق) لم يستند على الفلسفة التربوية في دولة الكويت والتي تركز على تأصيل هوية المجتمع الكويتي العربي الإسلامي فموضوعات الكتيبات لم تشر إلى أي شاهد من: القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أو سير الصحابة رضوان الله عليهم أو نماذج من الواقع المحلي، واحتواء هذه الكتيبات على أنشطة ذات أفكار واتجاهات لا تتناسب مع قيم المجتمعات العربية والإسلامية المحافظة وعاداتها كالمجتمع الكويتي(١).

وعلى الرغم من إيقاف أنشطة مبادرة (بريق) في المدارس إلا أن نشاطها في مواقع التواصل الاجتماعي ما زال قائماً ونشطاً،ومازالت هناك محاولات حثيثة لإضفاء الصبغة العلمية على محتوى المبادرة من خلال تفعيل بروتوكول تعاون بين القائمين على المبادرة وجامعة الكويت بحيث يكون برنامج المبادرة موضوع رسائل طلاب الدراسات العليا.

المطلب الثالث: جمود العلماء والدعاة وعدم اجتهادهم بما يناسب المرحلة:

من أعظم البلاءات التي حلت بالأمة وسمحت بهدم الثوابت العقدية وهدم دين الله –عز وجل– عند النشئ: جمود العلماء وعدم اجتهادهم بما يناسب المرحلة، فبينما يتناحر الدعاة على اختلافات سياسية أو مسائل هامشية، وتُستنفد الطاقات والجهود في ذلك، نجد أن الشباب يحملون هومًا أخرى، ويعانون من إشكالات لا نجد مَن يتصدى لها مِن الدعاة– إلا من رحم الله–.

فهذه الأديان الشرقية صورة من صُوَر الإلحاد التي يُراد نشرها بطريقة منهجية مدروسة، فبينما الإلحاد –بصورته المعرفة وهو إنكار وجود الله الله عز وجل– تنتشر مسائله وتُثار قضاياه بين أوساط الشباب –الذكور– نجد أن علوم الطاقة

(١) انظر: تقرير اللجنة السابق ص ٤–٥.

وشبهها منتشرة عند الفتيات، وكلها في النهاية تصب في مصب واحد وهو: نشر الإلحاد بكل صوره، ولا نجد من الدعاة من يستوعب حجم المشكلة ويدرك خطورتها، بل لا نجد منهم من حصّن نفسه بالعلم والأدلة التي يستطيع من خلالها دحض هذا المشروع الإلحادي الممنهج.

ينبغي أن يتحلى الدعاة بفقه الأولويات، فلا يصح توجيه الجهود والطاقات للحديث عن مسائل هامشية مع إغفال القضايا العقدية الكبرى التي يعاني منها الشباب.

هناك إشكالات فكرية يعاني منها هذا الجيل، والتي أنتجت هذه الهشاشة العقدية، وأسهمت بتأثّره بتلك العلوم الباطنية والأديان الشرقية، من أهمها:

الانحراف المنهجي في مصدر التلقي:

أغلب صور الانحرافات العقدية تبدأ من مشكلة المصدر، فالإسلام جاء ليؤسس حياة تنطلق من الوحي: الكتاب والسنة، قال النبي ﷺ: (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)(١). ومصداقاً لهذا الحديث فالضلال والانحراف يكون بمقدار الابتعاد عن هذا المصدر الإلهي في الاعتقاد والقول، والعمل، والرؤية، والحياة.

إلا أن هذا الجيل نشأ على التبعية للفكر الغربي، القائم على تقديس العقل وجعله منافساً للوحي، بل تصور المصادمة بين العلم والعقل من جهة والدين من جهة أخرى، واختزال المشاكل التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية اليوم من تخلّف وجهل بالإسلام، ثم فعلت الآلة الإعلامية جهودها في الترويج للعلمانية والتغريب على أنه الحل لهذه الأزمات والمشاكل، فنجد -مثلاً- سلامة موسى وهو أحد التغريبيين يصور أنَّ مشكلة العالم الإسلامي هي في: (التقيد بالنصوص في

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع ١/٥٦٦، حديث رقم (٩٣٧).

الكتب الموروثة، وسيادة العقائد على المعارف، والاكتفاء بالثقافة الدينية دون الثقافة المدنية)[1]، ثم بيّن أن أهم خطوة في العلاج هو في اتباع العلمانية، التي خلصت أوروبا من مشاكلها، (فهذه النزعة الأوروبية التي شملت جميع الأمم المتقدمة جاءت بعدما قارن الناس بين العلم والدين، واختاروا العلم الذي وجدوه أثبت، هذه الخطوة ذاتها، وهي تجرُّؤ العقول على الدين، ورفض الإيمان الأعمى به، جعلت العقول تتجرأ على سائر الأمور الاجتماعية.. فصار الناس يفكرون مثلًا في الطلاق والزواج، والعائلة والامتلاك وأصل العالم، دون أن يحسبوا حسابًا لسلطة إلهية تدبر هذه الأشياء)[2].

وما يطرحه سلامة موسى هو نفسه ما تطرحه البرامج التلفزيونية وبرامج التواصل الاجتماعي، ولكن بأنماط وألفاظ مختلفة.

فساد التصور حول الربوبية:

إن التوجه العالمي اليوم هو توجه مادي شرس، يدعو إلى الإلحاد بكل صوره، وهذه الموجة الإلحادية تزعّمَها مجموعةٌ من الملحدين البارزين في الفكر الغربي، وتبنتها الآلة الإعلامية هناك وروجت لها على أنها موضة فكرية تدل على عمق ثقافة صاحبها.

والأديان الشرقية هي إحدى بوابات الإلحاد، فالمؤسسون لهذا الفكر كريباك شوبرا وأوشو يعلنونها صراحة أنهم ملحدون، وعلى الرغم مِن إيمان مَن تبنى هذا الفكر في العالم الإسلامي فإنَّ هناك انحرافًا واضحًا في باب الربوبية، ولا شك في أن هذا أحد أوجه الإلحاد.

---

(١) انظر : بين النهضة والتطور، سلامة موسى، ص ٩٢ - بتصرف..

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٩٢-٩٣.

فهناك إلحاد كلي ينكر فيه صاحبه وجود الرب سبحانه، وهناك إلحاد في الربوبية- وهو ما تأثر به أصحاب هذا الفكر، فهم يثبتون وجود الرب سبحانه، ولكنهم يريدون الإيمان به كما تتوهمه عقولهم وليس كما أخبرنا سبحانه عن ذاته، فهم يكذبون بالربوبية لا سيما في أبواب: القدرة والإرادة، فيفتحون للتخرصات العقلية حول هذه الغيبيات، ويُدخلون العلوم الباطنية مفسرًا وشارحًا لتصورهم، ويَغلب على النتائج التي يصلون إليها أنها معارضة لما جاء به الأنبياء.

ففي باب القدرة: ألغوا القدرة الإلهية، وألّهوا الإنسان، وجعلوه هو المتصرف الرئيسي في أقداره والمتحكم بمستقبله[١]، وفي باب الإرادة جعلوا الإرادة الإنسانية هي المتحكم الأول والأخير في حياته، بل لها قدرة في خرق القوانين والسنن الطبيعية والكونية، على الرغم من خطورة هذه الانحرافات العقدية التي قد يصل بعضها إلى حد الكفر، وعلى الرغم من انتشارها في المجتمع المسلم، فإننا لم نجد مِن الدعاة مَن تبنى هذه القضايا ونبّه على خطورتها وأبعادها -إلا القليل-، وينبغي أن يدرك الدعاة أنّ الموجة الإلحادية اليوم تشابه إلى حد كبير الكفر الذي يواجهه الإسلام عند بدء الرسالة، فالإلحاد اليوم يحظى كما كان الكفر حينها يحظى بقبول الرأي العام العالمي، لا يمكن الاستهانة بهذه الموجة الإلحادية المدعومة عالميًّا ولا التقليل من آثارها، بل لا بد من إدراك عمق المشكلة وخطورتها، والعمل على محاربتها بشتى الوسائل الممكنة.

جعل القضايا الشرعية الثابتة بالوحي من باب الظواهر الاجتماعية:

هذه الإشكالية هي نتاج التبعية الغربية التي رأت أن العلوم الاجتماعية بديل عملي لقضايا الإنسان العملية، وهي القضايا التي كانت ضمن الشريعة غالبًا،

(١) انظر: حركة العصر الجديد ونشأتها وتطبيقاتها، د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، مركز تأصيل للدراسات والبحوث المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م، ص ٢٩٢-٢٩٨.

واضطر الغرب لهذه الأبواب من العلوم الاجتماعية والنفسية لعدم معرفتهم بالدين أو تحريفه، فاعتمدوا في ذلك على عقولهم وتجاربهم، فهذا العلم يدرس المسائل الواقعة في حياة الإنسان، وليس ما ينبغي أن يفعله الإنسان في حياته، فهو بعيد عن أي نظر للحلال والحرام أو الحق والباطل، أو المحمود والمذموم، وكل القيم المعيارية(١).

فهو توظيف للعقل في الجانب المادي فقط، وقد أطلق بعض النقاد عليه بأنه "العقل الأدائي" أو "العقل المجرد" الذي نجح في دنياه المادية وفشل في الجانب المعنوي من حياة الإنسان.

ومن ثمرات هذا الفكر التهوين من شأن العمليات الأخروية التي لا تَبرز ثمارها بشكل مباشر لكل واحد، مثل العبادات والواجبات واجتناب المنهيات والتزام القِيَم، وأدى أيضًا إلى الاهتمام بالعمليات الدنيوية ذات المردود الدنيوي والمباشر، وتولّد عنه سباق محموم للحاق بالغرب في هذه الأبواب الدنيوية، ومن هنا أصبحت قيمة المعرفة العلمية ترتبط بما تحقق مِن (مكاسب – إنجازات – سبق – تطور)، حتى وإن كانت حرامًا أو فيها شبهة، الربا في الاقتصاد: المنفعة في الأخلاق، علاقات بين الجنسين دون قِيَم وغيره(٢) .

وعلمنة هذا الجانب العملي من حياة الإنسان أمر خطير جدًّا؛ لأنه يفتح الباب لتشريع الأعمال السابقة دون النظر لمعيار قيميّ لها، وبالتالي ينزع أي تردد من العامل، ويطمس الألم الذي قد ينبع من بقايا الفطرة عند الوقوع في الانحراف، وتجذر هذه الإشكالية الفكرية في المجتمع بان أثرها حتى في موضوع البحث،

---

(١) انظر في تفصيل المسألة: النظريات العلمية الحديثة، د. حسن بن محمد الأسمري، ٢/١٠١٩-١٠٣٨.

(٢) النظريات العلمية الحديثة ومسيرتها الفكرية، د. حسن بن محمد الأسمري، ٢/١٠٣٧.

فهي تعطي تفسيرًا لمدى قبول المجتمع لهذه العلوم الباطنية، وانتشارها حتى بعد إدراكه لكونها لا تعدو أن تكون وهمًا ودجلًا، وحتى بعد معرفة الحكم الشرعي، فالمعيار في القبول والرفض هو المعيار المادي فقط وتحقيق اللذة والمنفعة دون اعتبار لحل أو حرمة.

وقد تفرع من هذا الإشكال القول بنسبية المعرفة[١]، ومنها النسبية الأخلاقية، فالخير والشر لا يمتلك قيمة مطلقة ذاتية، وإنما يتغير بتغير الزمان والمكان، فلا يصح القول عندهم إن الظلم شر وإن العدل خير، ولا أن الزنا والسرقة وغيرها من الأخلاق القبيحة شرّ، بل قيمة الفعل والخلق تحدد بحسب المصالح واحتياجات العصر، وهذه من الإشكالات الخطيرة التي ستؤدي إلى التوسع في تبديل الشريعة دون الخضوع لضوابط واضحة، بل وفق المصالح والأهواء، فتصبح شريعة لا تعرف الثوابت والأصول والأمور القطعية، فنجد مثلاً (د. حسن حنفي) وهو مفكر معاصر ينادي بتجديد الشريعة فيقول: (إن أهم ما يميز التراث في أصوله وفي نشأته وتطوره هو حركته وعدم ثباته، فالوحي قد تغيّر طبقًا لحاجات الواقع، والتشريع يتغير طبقاً لتغيرات العصر..) [٢].

(١) وأصل هذا الإشكال يعود لنظرية "النسبية الفيزيائية" "Relativity Theory" التي ابتكرها آينشتاين في القرن العشرين، وكان من نتيجتها نسبية الزمان والمكان، وهي نظرية متخصصة في دراسة الظواهر المادية والعلوم الطبيعية، وأصبح لها حضور قويّ في الفكر الغربي، فالنسبية عندهم مذهب يقرر أن كل معرفة إنسانية فهي نسبية، ويندرج تحت ذلك نسبية الأخلاق أيضاً. [انظر: النظريات العلمية الحديثة ومسيرتها الفكرية د. حسن الأسمري ١٠٣٨/٢-١٠٤٢، وانظر: حركة العصر الجديد، د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص ٥٠٠-٥٠٨].

(٢) انظر : النظريات العلمية الحديثة، د. حسن الأسمري (١٠٤١/٢-١٠٤٢) نقلاً عن: التراث والتجديد، د. حسن حنفي ص٥٥.

د . الخلل في فهم عقيدة القضاء والقدر:

مع التسارع المادي اليوم واللهث العالمي وراء اللذة الدنيوية وغياب مفهوم الحياة الأخروية، وازدياد معدلات الاضطرابات النفسية، فإن النشء أحوج ما يكون إلى التأصيل المنهجي في باب القضاء والقدر، والخلل في هذا الباب هو أهم مدخل لانتشار العلوم الباطنية والأديان الشرقية.

ومن أهم المفاهيم التي يجب تأكيدها وتأسيس النشء عليها في هذا الباب: مسألة حكمة الله -عز وجل- في أفعاله وأقداره، وبيان معنى الحكمة والعدل في حق الله -عز وجل-، فهم حقيقة الحياة الدنيا وأنها محل اختبار وابتلاء، وأن الله لم يخلق الإنسان على هذه الأرض ليحقق له أقصى أسباب السعادة وإنما ليختبره، قال تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون*ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) [العنكبوت: ٢، ٣]، فهم معنى القضاء الشرعي والكوني والفرق بينهما، مسألة وجود البشر في العالم وتفسيرها من منظور شرعي، فهذه أهم الشبه التي يروج لها الملاحدة، وبحث الأسباب الشرعية المعينة على الصبر على أقدار الله عز وجل، إحياء مفهوم التسليم والرضا بقضاء الله عز وجل وقدره، كل هذه المفاهيم شبه غائبة عن النشء مع عدم التأصيل العقدي وطغيان العالم المادي اليوم نحن أحوج ما يكون لمعالجة هذه الإشكالات الفكرية.

بعد بيان أهم الإشكالات الفكرية التي يعاني منها النشء اليوم يمكن التوصل بوضوح لمدى بُعْد الخطاب الدعوي عن هموم الشباب ومشاكله، ولهذا لا بد

للدعاة من محاسبة النفس وتصحيح الأخطاء. ويمكن إيجاز خطوات التصحيح في ثلاث قضايا، لا بد للدعاة من الالتفات إليها[١] ، وهي:

أولاً : فقه الواقع ومشكلاته وأين نحن منها:

لابد للدعاة من وقفة مع الذات نكشف من خلالها أين نحن من فقه واقعنا المعاصر، والتعرف على مشكلاته وموقفنا منها، كما كان السلف – رحمهم الله- يفقهون واقعهم ويعيشون مشكلات عصورهم وليس عصور غيرهم.

ثانيًا : فقه النص وكيفية تنزيله على مشكلات العصر وقضاياه على مستوى الفرد والجماعة:

من أهم الإشكالات التي يعاني منها الدعاة عدم فقه النصوص التي تتكرر على الألسنة، مع عدم الفهم الصحيح لها لا فقهًا ولا تنزيلًا على الواقع المعاش، وقد آثار العلماء الأوائل هذه المسألة، فذكر الإمام ابن القيم فصلًا في تغيير الفتوى، واختلافها بحسب تغيّر الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد، وذكر أن الشريعة مبناها على مصالح العباد في المعاش والمعاد، وقال: (هذا فصل عظيم النفع جِدًّا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم بمصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها) [٢] .

---

(١) انظر : تفصيل المسألة: منهج السلف بين العقل والتقليد (تصحيح مفاهيم- درء شبهات- رد مفتريات، د. محمد السيد الجليند، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ص ١٢٥-١٣٥.

(٢) انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، راجعه طه عبد الرؤوف سعد، الكتب العلمية – بيروت ٣/٣.

إننا في عصر نحتاج ممن يتصدى للدعوة أن يكون ماهرًا في طب النفوس وترويض القلوب قبل أن يكون حافظًا للنص دون فقه له، على درجة عالية من الخبرة بالواقع وملابساته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغياب الخبرة بهذه الملابسات وما يترتب عليها من المشتغلين بالدعوة كان ضرره أكثر من نفعه، وفي كثير من الأحيان كانت هذه الجهود تؤدي إلى الإفساد من حيث أرادوا الإصلاح(١) .

القضية الثالثة: فقه الأولويات:

لا بد من وقفة مع التراث نكتشف خلالها ما يدعو إليه ديننا الحنيف من فقه الأولويات وحكمة التدرج في التشريع مع ضرورة الأخذ به، حتى لا نضيع العمر والجهد في صراع حول أمور قد لا ترقى في حكمها الشرعي إلى مستوى المندوبات، ونُضيّع في زحمة هذا الصراع فرائض وواجباتٍ نحن أحوج ما نكون إليها.

لا بد من أن يسأل الدعاة أنفسهم هل مشكلة المعاصر اليوم التعرف على المشكلات المثارة حول قضية الذات والصفات –مثلاً– بمناسبة وغير مناسبة؟ هل مشكلته تأويل الصفات أو عدم تأويلها؟ هل المسلم العامي الآن بحاجة إلى بحث الخلافات التاريخية القديمة حول هذه القضايا؟

إن إثارة هذه المشكلات وتركيز الدعاة عليها دليل على أن أصحابها يعيشون خارج العصر ومشكلاته.

---

(١) انظر : منهج السلف بين العقل والتقليد، د. محمد السيد الجليند، ص١٣٣.

إن مشكلة الشباب المسلم اليوم هي قضية وجود أو عدم وجود جملةً وتفصيلًا، فأين الدعاة مما يجري حولهم، وهم يتشاورون بينهم حول مسائل الخلاف، ويضيعون بسببها أصولًا وكليات هي من لوازم عصرهم(١) .

إن تصحيح الخطاب الدعوي لا يتم بصورة منهجية إلا من خلال هذه المنطلقات الثلاث: فقه الواقع وأبعاده، وفقه النص وسياقاته، وفقه الأولويات وضوابطه.

وبدون تصحيح هذه المنطلقات الثلاث سيظل الخطاب الدعوي بعيدًا عن هموم الشباب ومشكلاته.

المطلب الرابع: ضعف المؤسسات العلمية:

إن المؤسسات العلمية لم تكن في حجم التحدي لمواجهة هذه الموجة الإلحادية المتمثلة في الأديان الشرقية والعلوم الباطنية، فمنذ بداية نشر هذه الأفكار والمعتقدات في المجتمعات الإسلامية لم نجد إلا مواقف دفاعية خالية من الردود العلمية المقنعة، وتبني سياسة الهروب من المشكلة دون مواجهتها، فاتسع الخرق على الراقع، واستفحل انتشار هذه المعتقدات في أوساط الشباب، وإذا وجدت بعض الجهود فهي جهود فردية من بعض العلماء والدعاة.

لا بد من عمل مؤسسي ممنهج تتبناه جميع المؤسسات العلمية الشرعية بعلمائها وكلياتها ومعاهدها بشتى الوسائل العلمية من: أبحاث ورسائل جامعية ومؤتمرات وندوات، لا بد من أن يرقى العمل المؤسسي لمستوى الحدث، فهذه موجة -إلحادية- ممنهجة ومدروسة ومدعومة عالميًّا.

---

(١) انظر : المرجع السابق ص١٢٨، انظر في تفصيل هذه المسألة: المرجع السابق، مبحث: السلفية المعاصرة وضرورة النقد الذاتي، ص١٢٥-١٣٣.

إن الضعف المؤسسي يظهر في جانبين:

الأول: ضعف المؤسسات العلمية في مواجهة هذه التحديات، وغياب العمل المؤسسي الممنهج والمدروس.

الثاني: عجز هذه المؤسسات العلمية عن توفير البديل عن هذه الأديان الشرقية، وتلبية احتياجات الأمة الدينية والدنيوية.

المطلب الخامس: طغيان النزعة المادية العلمانية في التداوي وأثرها في انسياق الناس للفكر الباطني:

يقول النبي ﷺ: (لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)،[١] نرى مصداق الحديث وتبعية أمة الإسلام للغرب في شتى مجالات الحياة، حتى امتدت إلى علمنة التداوي، ابتداء من النظرة الفلسفية الغربية للألم، وانتهاء بالتعلق بالماديات ورفض ما نص عليه الوحي من الأدوية الإلهية الثابتة بالنصوص الشرعية.

ونتيجة لهذه التبعية المطلقة كان لا بد من بيان المنهج الغربي في التداوي، وتناوله في هذا البحث من زاوية أثر هذا المنهج في دخول الأديان الشرقية للمجتمعات الإسلامية.

يظهر أثر الإلحاد الغربي والعلمنة في المحال الطبي من خلال أمرين:

أولاً: النظرة الفلسفية للألم وامتداد هذه النظرة للعالم الإسلامي.

لقد تحول الإنسان الغربي تدريجيًا بعد عصر التنوير عن سؤال: لماذا نعيش؟! إلى سؤال: كيف نعيش؟!، ولهذا احتلت (وسائل الحياة ورفاهيتها) مكان (أغراض

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب ما ذكر عن نبي إسرائيل، ٤/١٦٩، حديث رقم (٣٤٥٦).

الحياة والمقصود منها) [١]، فأصبحت الحياة الدنيا هي منتهى بصر الإنسان، وتحقيق الترف والملذات فيها هو جوهر وجوده وغايته العليا، وهذا مخالف لما استقر في ذهن كثير من الأمم السابقة التي كانت ترى غاية الحياة في تحقيق الفضائل الكبرى والأمجاد الراسخة، وتفسير الحياة الدنيا بأنها امتداد لحياة أخروية خالدة في جنة أو نار، والنظر إلى ما يعتري الإنسان من بلاء وألم إلى أنه مطية لهذه الحياة الخالدة.

بينما النظرة العلمانية والإلحادية للألم مختلفة، فهي لا ترى فيه أي حكمة أو منفعة، ولا يعدو كونه عبثًا يعيق استمتاع الإنسان بملذاته وحياته، فالحياة في ذاتها هي الغاية عندهم، وما البلاء والألم إلا حدث عرضي في كون ليس إلا مادة وطاقة في حركة دؤوبة عمياء[٢] ، ولذلك علق عالم الأعصاب والمحلل النفسي النمساوي (فكتور فرنكل) (victorFrankl): (للكثير من الناس اليوم وسائل للحياة، غير أنهم يفتقدون معنى يعيشون لأجله) .

(More people today have the means to Live, but no meaning to live for)[٣]

فالعالم الغربي اليوم يعيش انهيار المعنى والغاية The Collapse pop meaning and purpose، وبتداعي المعاني وانتهاء الغايات فقد البلاء والألم دلالته البعيدة وانتهى إلى النشازية[٤] .

---

(١) انظر : مشكلة الشر ووجود الله (الرد على أبرز شبهات الملاحدة)، د. سامي عامري، تكوين للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، ص ٢٤.

(٢) انظر : تفصيل المسألة: مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري ص ٢٤-٣٠.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٦، نقلاً عن: Frankle، The Unheard cry for meaning ،New Yourk: Simon & Schuster، PP. ٢٠-٢١ (١٩٧٨)

(٤) المرجع السابق ص٢٦.

ليس للحياة في وعي الماديين معنى إلا ما يكسبه الإنسان إياها، وإذا كانت الحياة بذاتها بلا معنى متجاوز (transcendental meaning) فلا معنى إذن للمعاناة إلا أن تكون مظهراً من مظاهر عبثية الوجود، وإذا لم يكن هناك إله، فلا يمكن أن يكون للحياة معنى إيجابي[١] .

لقد تحولت آمال الإنسان المعاصر في أن يعيش في تآلف مع حقيقة العالم إلى أن يدخل في صراع مع الكون ليشبع نهمته ويجمع من الترف كل سبب ولذلك فهو يستعظم أن يدفع من سعادته ضريبة من الألم، فكل منغص للحظات اللذة ليس إلا تعبيرًا عن فساد هذا العالم البائس الذي يعاديه وينغص عليه صفو نفسه.

وفي ظل هذا الواقع العدمي، ضمرت دوافع المغالبة في روح الإنسان الغربي، وهو ما عبر عنه عمليًّا الدكتور (بول براند) (Paul Brand) – أحد رواد جراحة تقويم الأعضاء لمرضى البرص، والذي أمضى نصف تاريخه العلمي الأول في الهند، ونصفه الثاني في الولايات المتحدة الأمريكية بقوله: (لقد واجهت في الولايات المتحدة مجتمعًا يبحث بكل ثمن عن تفادي الألم، لقد كان المرضى يعيشون في درجة رفاه أعلى مِن كل مَن سبق لي معالجتهم لكنهم كانوا أدنى استعدادًا بمراحل لتحمل الألم وأبلغ تأثراً به) [٢] .

لقد فقد الإنسان قدرته على مغالبة الألم والبلاءات؛ لأنه فقد في ذاته حافز القدرة على استشعار أي معنى إيجابي للمكابدة والصراع مع أوجه النقص في حياته[٣] .

---

(١) المرجع السابق ص٢٦.
(٢) انظر المرجع السابق ص٢٧، نقلاً عن: (Ibid,P.١٢).
(٣) المرجع السابق ص:٢٧ .

وقد ساهم التقدم العلمي والتطور التكنولوجي في هذه النظرة، فالإنسان المتصرف اليوم يرى في نفسه القدرة على الإحاطة بالكون علمًا، والقطع من خلال مداركه بالوجود والعدم، ولذلك فهو لا يجد حرجًا في نفسه أن يقطع بغياب الحكمة وراء ما لا يدركه وعيه من مظاهر، وأضحى الإنسان سيد الكون في ظنه، فما لم يدركه من حكمة فهو عين العبث، وقد عبّر عن ذلك عالم الاجتماع (تشارلز تايلر) (Charles Taylor) في كتابه (عصر العلمانية) أن المجتمعات الغربية قد شهدت (انعطافة إلى مركزية الإنسان) (Anthropocenbricturn) مبرزاً أن (إحساس الإنسان بالترتيب الإلهي قد بهت، وأن الإحساس بأنه بإمكاننا أن نسند النظام بأنفسنا قد بدأ يبرز) منتهيًا إلى أنه قد نجم عن ذلك أن (الهدف الأعلى في المجتمعات الغربية هو منع المكابدة) [١] .

ولا يخفى أن هذه النظرة الفلسفية قد امتد أثرها إلى العالم الإسلامي، فأضحت الحياة ووسائل الترف وتحقيق الملذات هي الغاية من الحياة نفسها، فأوجدت الهشاشة النفسية وعدم القدرة على تحمل البلاءات والمحن والآلام، واللهث وراء كل ما يمكن أن يزيل الألم دون النظر إلى عواقبه وحكمه كالعلاج بالأوهام والخرافات والمخدرات والمسكرات، والمحرمات وغيرها، طلبًا للذة آنية وسعادة وهمية دائمة.

ثانياً: الفلسفة المادية وأثرها في المجال الطبي:

كما ذكر في الصفحات السابقة: إن الغرب (الذي تأثر بالفكر العلماني والإلحادي) تحول نحو المادية المطلقة، ونقد الغائية، فأنكر وجود معنى للحياة، وقد امتد أثر هذه الفلسفة إلى المجال الطبي، فانفتح الباب للمادية الميكانيكية

(١) انظر المرجع السابق ص:٢٩ .

الحتمية، التي تعد الفارق بين الحيوان والجماد فارقًا في الدرجة فقط لا في الطبيعة، بحيث ترد الظواهر البيولوجية إلى فيزيقية وكيميائية، يذكر (ليدرمان) في كتابه: (الفلسفة والطب) الوجه المادي الحديث وأساسياته وأصوله، وهي: (المادة هي الوجود الوحيد، أنَّ أي: مبحث علمي لا بد من أن يلتزم بالتفسير المادي وإلا عد مبحثًا غَيْبِيًّا غير علمي، إذ المادية مرادفة للتفكير العلمي، الفارق بين الجماد والحي إنما هو في التركيب الكيميائي، وهو فارق في الدرجة لا الطبيعة) (١) وهذا الفكر أدى إلى أن الطب الحديث يتحرك مع البدن وكأنه جسم مادي لا روح له، يكفي عندهم اكتشاف المرض وعلاجه وعندها يتخلص الإنسان من آلامه ويعيش سعادته الدنيوية، فالطب في الإطار العلماني ينظر للإنسان مفصولًا عن حاجته للإيمان وعن حاجته لتشريع سماوي، ولهذا يتم علاج البدن والنفس على أنها كيان مادي بحت دون مراعاة للأبعاد الروحية والغيبية.

ويمكن تلخيص أثر الفكر العلماني المادي على المنهج الطبي الحديث بـ:

أولاً: أثره في التجزئة والنظرة الجزئية لكل عضو، وتخصص طبيب لكل عضو، وذلك قد يكون له صلة بالرؤية المادية التي تنظر للمادة على أنها عناصر منفصلة يمكن دراستها وهي مفككة، بينما الإنسان كلٌّ مركب من أجزاء،

---

(١) انظر : في فلسفة الطب، د. أحمد صبحي، د. محمود زيدان، تقديم د. محمود مرسي عبد الله، النهضة العربية، بيروت، طبعة ١٩٩٣، ص ٣٨،٤٠ وانظر: النظريات العلمية الحديثة ومسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي في التعامل معها، ص ١٠٩١.

وهنا ترابط انتبهت له الممارسة الطبية المعاصرة[١] ، فكيف إذا أضافت لذلك النظر للإنسان بعيدًا عن حاجته للدين[٢] .

ثانياً: إلغاء الصلة العضوية بين النفس والجسم كأنهما كائنان غريبان في ذات واحدة وكيان واحد، وقد تركت أثرًا بالغًا في الطب، حتى غدا لفظ الطب البشري مرادفًا للطب الجسمي دون اعتبار للنفس، وقد عزز ذلك علم النفس الفسيولوجي، وكما يقول كارليل: لقد دفعت الحضارة ثمن ذلك: انتصار العلم وانحلال الإنسان، بل قد كشف الطب المعاصر أثر النفس على الجسد[٣] فقد دلت الإحصائيات أن ٨٠٪ من المرضى في جميع المدن الأمريكية ترجع أمراضهم إلى حد كبير إلى مسببات نفسية وعصبية[٤] .

ثالثاً: إلغاء الاعتراف بأثر الجانب المعنوي ممثلاً في الدين ودوره في الشفاء، وظهر ذلك واضحًا في الجانب النفسي، لا سيما مع بروز الإلحاد في رموز مهمة في هذا المجال، تسبب بوعي أو بغير وعي في الإضرار بمنافع هذا العلم وتقريبه للإلحاد والمادية، ومن أشهرها نظرية فرويد التي تؤكد النزعة العلمية التي تستبعد أي دور للغيبيات في تشخيص المرض أو في العلاج[٥] ، وفي ذلك يقول كارليل: (في جميع البلدان والأزمان آمن الناس بالشفاء من المرض في أماكن

---

(١) النظريات العلمية الحديثة ومسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي في التعامل معها، د. حسن بن محمد الأسمري، ص ١٩٢.

(٢ انظر: المرجع السابق ص:١٩٢.

(٣) انظر: المرجع السابق ص:١٩٢.

(٤) انظر: روائع الطب الإسلامي الجزء الأول- القسم العلاجي، د. محمد نزار الدقر، المعاجم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ص٣٥.

(٥) انظر: النظريات العلمية الحديثة، د. حسن الأسمري، ١٠٩٠-١٠٩٥.

مقدسة، غير أن تيار العلم في القرن الثالث عشر/ التاسع عشر، جعل هذا الإيمان يختفي اختفاء تامًّا؛ لأنه في نظر العلم مستحيل الحدوث، غير أن الملاحظات خلال الخمسين سنة الأخيرة أضعفت الإصرار على هذا الموقف. إنه في خلال فترة وجيزة تلتئم الجروح بأسرع من المعدل المقرر لها وتختفي الأعراض الباثولوجية ويسترد المريض عافيته، هذه الظواهر تدل على الأهمية البالغة للنشاط الروحي الذي أهمل الأطباء أمره إهمالًا تامًّا [١]، هذا في الجانب الجسمي، والأمر في الأمراض النفسية أشد وضوحاً، فقد ذهب كارل يونج إلى أن أكثر من نصف مرضاه بعد منتصف العمر كان الدين عاملًا مؤثرًا في شفائهم[٢] ، ولهذا بدأ العلم في القرن العشرين يتحرر من وصاية المذهب المادي، وبدأ الطب النفسي يستبعد أفكار فرويد في التحليل النفسي واستبعاد دور الدين في العلاج من الأمراض النفسية، وبدأنا نرى بعضهم من يصرح بدور الدين في العلاج النفسي كـ (كارل بيان) الذي يقول: (إن كل المرضى الذين استشاروني خلال الثلاثين سنة الماضية من كل أنحاء العالم كان سبب مرضهم نقص إيمانهم وتزعزع عقائدهم ولم ينالوا الشفاء إلا بعد أن استعادوا إيمانهم، وفي عبارة أخرى يقول: من بين مرضاي بعد منتصف العمر – فوق سن الأربعين– لم يحل بواحد منهم المرض إلا لأنه افتقد ما تمنحه الأديان لمعتنقيها، ولم يستعد واحد منهم الصحة إلا باستعادته الإيمان الديني) [٣] .

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٠٩٢، نقلًا عن الإنسان ذلك المجهول، ألكسيس كاريل، ص ١٧١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص: ١٠٩٣ .

(٣) في فلسفة الطب، ص١٠٨ .

رابعاً: رفض الأسباب المعنوية للأمراض:

مثل ما يتعلق بالذنوب وأثرها على الجانب النفسي، والذي دل عليه قوله عز وجل: (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا)[٣ طه: ١٢٤]. وفسر العلماء الضنك بالضيق والمشقة ولا يكون ذلك إلا عذابًا [(١)]، فهذا مما ينكره العلم المادي، وكذلك أنكر الحسد والسحر، وما يتبعه من إنكار العلاج بالأدوية الإلهية كالعلاج بالرقية، والدعاء، والصدقة، وغيرها.

لقد كان لهذه النزعة المادية أثرها في المجال الطبي الجسدي والنفسي، وكان لها الأثر في محاولة القضاء على الفطرة البشرية المتمثلة في الحاجة إلى الارتباط بالخالق والإله، والتي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة) فالحاجة إلى الإشباع الروحي والارتباط بالله -عز وجل- وتحقيق العبودية له سبحانه من لوازم البشرية.

ونظراً لانتشار الإلحاد في العالم الغربي، وازدياد الحاجة لسد الفجوة التي خلقتها النزعة المادية من خواء روحي، ظهرت الحاجة لما يحل محل الدين ويحقق هذا الإشباع دون نقض لمبدأ الإلحاد، فكانت هذه الأديان الشرقية هي الحل الأمثل والبديل الأفضل لهم، إذ إنها أديان إلحادية في المقام الأول تنكر وجود الإله، وقادرة كما يظنون على تحقيق نوع من الإشباع الروحي ولو جزئيًّا، ولهذا لجأ الغرب إليها وامتد أثرها في العالم الإسلامي.

ثالثاً: المنهج الإسلامي في التداوي:

لقد وقف المنهج الإسلامي في التداوي موقف الوسط بين طرفي نقيض، بين الفكر الغربي بنزعته المادية المتطرفة، وبين الخرافة والوهم والجهل المعادي للعلم والفكر.

---

(١) تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٢٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ص ٥١٥.

فأقر بالدور التجريبي في التداوي من جهة وبالدور الغيبي والإلهي في التشافي من جهة أخرى، قال النبي ﷺ: (لِكُلِّ داءٍ دَواءٌ، فإذا أُصِيبَ دَواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذْنِ اللهِ عزَّ وجلَّ) (١) وقال عليه الصلاة والسلام: (ما أنزل اللهُ مِنْ داءٍ إلا أنزلَ لهُ شفاءً)، فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها، بل بيّن العلماء أنه لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضياتٍ لمسبباتها قدرًا وشرعًا إلا أنَّ الإسلام حدد منهجًا متكاملًا في التداوي، وازن فيه بين الأسباب الشرعية والمادية محققًا بذلك المنهج الوسط الذي لا غلو فيه ولا تفريط، ويمكن تلخيص هذا المنهج في النقاط الآتية:

أولاً: التعبئة العقدية والمعرفية المعينة على تحمل البلاء:

فيما يرى الغرب عبثية الألم وأنه ليس إلا منغّصًا لسعادة الإنسان الآنية يأتي المنهج الإسلامي، مبينًا الحِكَم الإلهية والمصالح الخفية فيما يعتري الإنسان من أنواع البلاءات، وذلك منظومة معرفية متكاملة يوضح من خلالها الأسس والأصول التي ينبغي أن يعتقد بها العبد، وأهمها:

١- التعبئة العقدية من خلال أصل مهم عده الإسلام ركنًا من أركان الإيمان لا يصح إيمان العبد إلا به، وهو الإيمان بالقضاء والقدر.

فعلى الإنسان أن يدرك إدراكًا يقينيًا لا شك منه أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٢- تذكير العبد أن البلاء سنة كونية، فلا كمال في هذه الحياة ولا نعيم دائم فيها، فذلك لا يكون إلا في جنة الخلد حيث النعيم المقيم الذي لا ألم فيه ولا هم ولا غم، قال تعالى: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) [البقرة: ١٠٠].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه،باب ماقيل في أولاد المشركين ،١٠٠١٢،حديث رقم (١٣٨٥).

٣- بيان مفهوم العدل الإلهي، وعدم خروج هذا البلاء عن منظومة الحكمة الإلهية، ولا بد من الاهتمام بهذا الأصل وبيانه بيانًا عقليًا بلغة تدركها عقول النشئ وتستوعبها، إذ إن هذه المسألة هي البوابة الرئيسية لولوج الإلحاد إليهم.

٤- بيان المصالح الخفية والحِكَم الإلهية من تقدير البلاء على العبد، فلا يخرج منها شيء عن الحكمة والمصلحة، فكل ما قدره الله على العبد إنما هو لحكمة ومصلحة أرادها لعبده، وهي عين الخير له.

٥- أثر البلاء في استخراج عبادات القلب، كالرضا والصبر والتوكل وحسن الظن بالله، وما يعقب ذلك من الرفعة والثواب في الدنيا والآخرة.

ثانياً: المنهج الإسلامي جاء موازنًا بين الروح والجسد، مبينًا أن لكل منهما خصائص وأمراضًا تعتريه، ولذا فإن الأدوية على نوعين: أدوية تجريبية علمية، وأدوية إلهية شرعية.

هديه ﷺ في علاج الأمراض على ثلاثة أنواع: الأدوية الطبيعية، والأدوية الإلهية، والمركب من الأمرين[١]، يقول ابن القيم- رحمه الله-:

(دل هاهنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية الروحانية وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه والالتجاء إليه والانطراح والانكسار بين يديه والتذلل له، والصدقة والدعاء، والتوبة، والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جربَتْها الأمم على

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم (٤/٢٤).

اختلاف أديانها ومللها، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء مالا يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه) (١) .

ثالثاً: نبذ الخرافة والوهم في باب التداوي:

فعلى الرغم من حث الإسلام على بذل الأسباب في التداوي كما في قوله ﷺ: (يا عبادِ اللهِ تداوُوا ، فإن اللهَ لم يضعْ داءً إلا وضعَ له شِفاء) (٢) ، فإن الإسلام قد حدد المعايير والأطر الواجب الأخذ بها في هذا الباب، ونهى عما سواها، ويمكن تلخيص هذه المعيير في قاعدة مهمة جدًّا في باب الأسباب والمسببات، وهي: (عدم إثبات الأسباب إلا ما ثبت منها بنقل صحيح أو دلّ عليه عقل صريح) (٣) .

وتفصيلها أن الأسباب التي يبذلها الإنسان لتحصيل الشفاء تنقسم إلى قسمين:

أ- **أسباب شرعية**: وهو ما ثبت في النصوص الشرعية نفعُه وتأثيره، مثل قوله عز وجل: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) [الإسراء: ٨٢] يقول ابن القيم في تفسير هذه الآية: (فلم ينزل الله -سبحانه وتعالى- من السماء شفاء

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ، ١٢/٤ .

(٢) أخرجه أحمد ٢٧٨/٤، وأبو داوود (٣٨٥٥) في أول الطب، والترمذي (٢٠٣٩) في الطب باب ما جاء في الدواء والحث عليه وإسناده صحيح.

(٣) انظر تفصيل المسألة في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق ناصر العقل، دار عالم الكتاب، الرياض، ط٧، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، ٢١٠/٢-٢٣٤، وانظر: المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة، د. فوز بنت بعد اللطيف كردي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، ص٦٦ وما بعدها.

قط أعم وأنفع ولا أعظم ولا أسرع في إزالة الداء من القرآن)[١]، ومثل العسل والحجامة وماء زمزم والصدقة وغيرها من الأمور التي ثبت بالنص الشرعي نفعها وتأثيرها.

ب- أسباب كونية: وهي الأسباب التي ثبت نفعها في الواقع والقدر، (وهذا شامل لجل ما يتداوى به الناس اليوم في المستشفيات الحديثة، والتي لم يرد الشرع بمنعها، فهي من توسيع الله عز وجل على عباده المؤمنين، حيث أباح لهم التداوي بكل ما يمكن به حفظ النفس وتحصيل أسباب الصحة) إلا أن هذه الأسباب تخضع لضابط مهم وهي: أنه لا يمكن إثبات هذه الأسباب وإثبات نفعها إلا عن طريق ما يسمى بـ (المنهج العلمي) أو (Scientific method) وهو عبارة عن سلسلة من الخطوات أو المراحل التي تدرس من خلالها ظاهرة ما، والتي يمكن بعد تحقيقها اعتبار الفرضية نظرية علمية.

وهذا ضابط مهم في إثبات نفع الأسباب الكونية في الاستشفاء والتداوي من عدمه، فالدعاوى التي لا تمر بمراحل المنهج العلمي ولا تحقق خطواته فإنها تصنف على أنها علم وهمي أو ما يسمى (pseudoscience)[٢].

ثم إن هذه الأسباب أو الأدوية التي ثبتت عن طريق المنهج العلمي لا بد أن تُعرض نتائجها على المجتمع العلمي (Scientific society) للدراسة والتحكيم ومن ثم الإقرار[٣].

---

(١) التفسير القيم (تفسير القرآن الكريم لابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ص ٣٦٣.

(٢) انظر التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية -دراسة عقلية، هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص ٥٧٠-٥٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٧٤-٥٧٥

وأما الأسباب التي لم تخضع لهذا المنهج العلمي ولم يثبت نفعها أو أمنها بالمقاييس العلمية المعتمدة، فإن الشرع يحرم استخدامها، ويعده وهمًا وخرافة ينبغي تكريم العقل عنه، وبناء على ذلك فإنه يمكن تقسيم الأدوية التي لم ترد في الشرع إلى ثلاثة أقسام:[١]

١- حقيقي ثابت: وهو ما ثبت نفعه وأمنه بالمقاييس العلمية المعتمدة، فهذا من الأسباب المشروعة ما لم يقترن بمحرم.

٢- ظني محتمل: وهو ما لم يثبت نفعه بالمقاييس العلمية استقلالًا، وإنما ثبت تأثير جنسه كالمطعوم والمشروب، فهذا والله أعلم يكفي فيه غلبة الظن أو وصف ذي خبرة، وقد استفاض على مر العصور استخدام مثل هذه الأدوية دون نكير من أهل العلم المتقدمين والمتأخرين ما لم تقترن بمحرم، ومثال ذلك ما يستخدم في الطب الشعبي من الأعشاب والزيوت وغيرها.

٣- باطل: وهو مالا يندرج تحت القسمين، واتخاذه للدواء محرم.

رابعاً: إن (النفع) لا يعد ضابطًا لإباحة الأسباب غير الثابتة بالشرع أو بالمنهج العلمي.

حيث يخطئ كثير من الناس في الاعتقاد بأن ثبوت النقع كافٍ في إباحة السبب، والصحيح أن هناك شرطين لجواز استعمال أي تسبب كوني في العلاج[٢].

الأول: أن يكون مباحاً في الشرع، فهناك أمور حرمها الإسلام في التداوي، كالتداوي بالمحرمات والنجاسات، أو إتيان السحرة والكهنة) أو التمائم، والرقى بغير القرآن.

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٧٥-٥٧٦

(٢) انظر: المرجع السابق ٥٨١-٥٨٢.

مع أن بعض هذه الأسباب قد بين الله عز وجل تأثيرها مثل السحر، كما في قوله عز وجل: (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) [البقرة: ١٠٢] .

إلا أنه منع منه لما فيه من الكفر، ومثلها: الخمر، فإن الله بين أن فيها منافع للناس إلا أنها محرمة، قال تبارك وتعالى: (ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما).[البقرة: ٢١٩] .

الثاني: أن يكون قد ثبت تحقيقه للمطلوب أو غلب ذلك على الظن.

وما خرج عن هذين الضابطين فإنه يحرم استخدامه، وإن وجد فيه بعض الناس نفعًا.

خامساً: جعل الإسلام (التكافل الاجتماعي) ركيزة مهمة في العلاج والتداوي:

وهنا أمر قَلَّ مَن يتفطن عليه، مع أن الإسلام قد عده من أشرف أنواع العلاج، ويمكن استنباط ملامح هذا التكافل وأثره في العلاج من خلال هدي النبي ﷺ، فكان من هديه عيادة المريض، وإدخال السرور في قلبه، وسؤاله عما يشتكي منه، وعما يشتهيه من الطعام، ويضع يده الشريفة على جبهته ويدعو له، بل ربما توضأ وصب على المريض من وضوئه، وكان يقول: "لا بأس طهور -إن شاء الله-"[1] تطييبًا لقلبه، وكان يحث الناس على اتباع هذا الهدي، فعن أبي سعيد الخدري- قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا دَخَلْتُم على المريضِ فنَفِّسُوا له في الْأَجَلِ، فإنَّ ذلك لا يَرُدُّ شيئًا، وهو يُطَيِّبُ نَفْسَ المريضِ)[2]، يقول ابن القيم- رحمه الله:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب علامات النبوة في الإسلام، ٢٠٢/٤، حديث رقم (٣٦١٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٤٣٨) في الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، والترمذي (٢٠٨٧)، وفي سنده موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، وهو منكر الحديث.

وتفريج نفس المريض وتطييب قلبه، وإدخال ما يسره عليه، له تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها، فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك، فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي، وقد شاهد الناس كثيرًا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه، ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على العائد، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة)[1].

**

(١) زاد المعاد لابن القيم، ٤/١١٦.

الخاتمـة

ختامًا أذكر أهم نتائج البحث باختصار:

١- الدعم العالمي الممنهج والدروس لهذه الأديان الشرقية وممارساتها.

٢- ساهم الترويج الإعلامي من المؤثرين في المجال الفني والاقتصادي والإعلامي في انتشار الأديان الشرقية عالميًا.

٣- قصور الدعاة عن إدراك سمات المرحلة ومشاكلها ساهم في انتشار الأديان الشرقية وتغلغلها في المجتمعات الإسلامية.

٤- المؤسسات العلمية لم تكن في حجم التحدي لمواجهة هذه الموجه الإلحادية المتمثلة في الأديان الشرقية والعلوم الباطنية.

٥- ترجمة كتب التنمية البشرية وتبني دُور النشر العربية لطباعتها والترويج لها ساهم في انتشار الأديان الشرقية بين أوساط الشباب المسلم.

٦- طغيان العلمانية المادية، التي تختزل الإنسان في كونه مادة فقط، دون مراعاة للأبعاد الروحية والدينية، ما نتج عنه من خواء روحي، كان له أبلغ الأثر في الاتجاه للأديان الشرقية وممارساتها.

٧- جاء الإسلام بمنهج متكامل، وازَن فيه بين الروح والجسد، متخذًا بذلك الموقف الوسط بين طرفي نقيض، بين الفكر الغربي بنزعته المادية المتطرفة، وبين الخرافة والجهل المعادي للعلم والفكر.

٨- من أهم أسباب انتشار طقوس هذه الأديان الشرقية وممارساتها إضفاء الصيغة العلمانية عليها وترويجها بمعزل عن جذورها العقدية ،فهي تمارس على أنها وسائل عملية للتخلص من الأمراض الجسدية والضغوطات النفسية.

٩- كل ما تم طرحه وتفصيله من أسباب يمكن جمعه في هذه العبارة، وهي: (التبعية الفكرية للغرب)، ولا حل لها إلا بالتأصيل العقدي، وتحديد مصدر التلقي من الكتاب والسنة.

ومن أبرز التوصيات :

١- اهتمام المؤسسات العلمية والجامعات الأكاديمية بمحاربة هذه الممارسات والأديان الباطنية من خلال: البحوث والرسائل الجامعية ،وإقامة المؤتمرات والندوات العلمية في هذا المجال .

٢- تكثيف الجهود الدعوية في محاربة الإلحاد وصوره المختلفة في المجتمع المسلم

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آلة وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب والمراجع:

١- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٢- ما أعرفه على وجه اليقين، أوبرا وينفري، مكتبة جرير، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
٣- خرافة السر، د.عبد الله صالح العجيري، مكتبة الملك فهد الوطنية ، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ،١٤٣٠هـ.
٤- حركة العصر الجديد ونشأتها وتطبيقاتها، د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، مركز تأصيل للدراسات والبحوث المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
٥- منهج السلف بين العقل والتقليد (تصحيح مفاهيم- درء شبهات- رد مفتريات)، د. محمد السيد الجليند، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.
٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، راجعه طه عبد الرؤوف سعد، الكتب العلمية – بيروت.
٧- مشكلة الشر ووجود الله (الرد على أبرز شبهات الملاحدة)، د. سامي عامري، تكوين للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ/ ٢٠١٦م.
٨- في فلسفة الطب، د. أحمد صبحي، د. محمود زيدان، تقديم د. محمود مرسي عبد الله، النهضة العربية، بيروت، طبعة ١٩٩٣م.
٩- روائع الطب الإسلامي الجزء الأول- القسم العلاجي، د. محمد نزار الدقر، المعاجم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٠- تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٢٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١١- في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق ناصر العقل، دار عالم الكتاب، الرياض، ط٧، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٢- المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة، د. فوز بنت بعد اللطيف كردي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

١٣- التفسير القيم (تفسير القرآن الكريم لابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٤- النظريات العلمية الحديثة ومسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي في التعامل معها "دراسة نقدية"، د. حسن بن محمد حسن الأسمري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث،المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى ،١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٥- التطبيقات المعاصرة لحركة الإستشفاء الشرقية،هيفاء بنت ناصر الرشيد ، المركز الوطني للطب البديل والتكميلي ،المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى ،١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

ثانياً:التقارير والمقالات :

١- (International Day of Yoga: ٩ January ٢٠١٥ resoulution / adopted by the General Assembly UN / New York, digitalibrary.un.org)

٢-٢١ حزيران/يونيو ٢٠٢٠، في اليوم الدولي لليوغا، الأمم المتحدة تسلط الضوء على قوة الممارسة القديمة للمساعدة في تخفيف ضغوط (كوفيد ١٩) الأمم المتحدة، news.un.org .

٣-٣١-ديسمبر-٢٠١٤، مشاهير اعتنقوا (البوذية)،

http://vetogate.com/٤٠٦٦٧٢

٤- التاريخ مقابل الأسطورة..كيف عرف الغرب البوذية ،

http://www.aljazeera.net/cultureandart/٢٠٢٢/٥/٢٥

٥- لماذا يتجه كثير من الأمريكيين لاعتناق البوذية، الجزيرة،

http://www.aljazeera.net/midan/reality/community/٢٠١٩/٤/١٦

وأصل المقال مترجم من مجلة (The Atlantic):

Why so many American Are Turning to Buddhism,TheAtlantic,By Olgakhazan,March,٧,٢٠١٩

٦- تقرير لجنة دراسة تقييم مشروع بريق للتفكير الإيجابي والرفاهية النفسية المتكاملة، بناء على القرار الوزاري رقم (٢٠١٩/١٥٦) برئاسة وكيل الوزارة المساعد للتعليم العام: أ. أسامة السلطان، وعضوية د.محمد فارس المطيران عضو هيئة التدريس في جامعة الكويت نائبًا لرئيس اللجنة، وعضوية كل من: د.محمد إسماعيل الراشد (الموجه العام للتربية الإسلامية)، أ.إيمان السويحل

(الموجه العام للعلوم الاجتماعية)، د.وليد السلامين (الموجه العام. للتربية البدنية (بنين)، أ.ناهد الفهد (الموجه العام للتربية البدنية (بنات) ، أ.فيصل الأستاذ (مدير إدارة الخدمات الاجتماعية والأنشطة).

ثالثاً: ملفات الفيديو :

١- الدكتور هيثم طلعت Dr.haitham Talaat، ١٨ نوفمبر ٢٠٢٢، سادغورو داعية الإلحاد الروحي، كشف فضائح أيقونة العلوم الزائفة، (Debunking the nonsense of Sadhguru)، ملف فيديو تم الاسترجاع من اليوتيوب (http://youtu.be/ugINIJgopuM).

* * *